

## مدارس الغابات

كان الأولاد في كل زمان ومكان يهربون من المدرسة والكتاب لأن منهم من لا يتدرون أن يخالفوا ما ركز في غرائزهم من تطلب الهواء الطلق والحركة وذلك لرداءة بناء مدارسهم ولأن وضعها غير طبيعي ونظامها مختل معتل وقد أخذ علماء التربية والعلم في أوروبا يدركون كل الإدراك أن من مدارسهم ما يجنب المقم ويميت الهمم وكان السابق إلى ذلك أناس في ألمانيا وإنجلترا وسويسرا فقاموا يطبقون بين الضروريات الطبيعية ومطالب المدنية الحديثة حتى يحولوا دون الأولاد والهرب من الكتيب والمدارس فيتمتعوا في مدارسهم بما تتطلبه أجسامهم من الهواء والنور ويسرحون ويمرحون تحت غابات الصنوبر والزان.

قالت مجنة التربية ونشأت هذه الفكرة في برلين لأن هذه المدينة القديمة ضيقة النطاق فاسدة الهواء لما فيها من تراكم الأنفاس حتى أن خمسة عشر ألف نسمة من أهلها يعيشون في أقبية تكون دافئة في الشتاء ورطبة بعض الشيء في الصيف فمدينة شارلوتنبرغ الملاصقة لبرلين هي التي منها نشأت هذه الفكرة لأن أبناءها كانوا بضعفهم الناشئ من رداءة هوائهم لا يستطيعون أن يسيروا مع أقرانهم عني حين أن مدينتهم هي أم التعليم وفيها أعظم كنية صناعية فلم يستطيعوا أن يجاروا أقرانهم فرأى أحباب الإنسانية هناك أن يتقنوا أولئك الأولاد إلى مدارس في الغابات تكون لهم بمثابة مصاح أو مصيف عني سواحل البحار فإذا قويت أجسامهم يقوى ذكاؤهم والعقل السليم بالجسم السليم. رأوا أن أبناء هذه المدينة اضعف من غيرهم بذكائهم وما سبب ذلك إلا ضيق حاراتهم وفساد أهويتهم وأن الأولى نقلهم من المدن إلى الغلاة وها قد أصبحوا الآن يعيشون

بالأولاد ممن ليسوا مرضى حقيقة وهم مصابون بالهزال أو ضعف الرئتين والقنّب أو ظهرت عندهم أعراض داء الخنازير أو غيره من مفسدات الدم يبعثون بهم إلى مدرسة الغابات بدلاً من أن يذهبوا إلى المدارس الخاصة بالتلامذة المتأخرين فالمدارس الجديدة ليست للرضى الذين يعدي بعضهم بعضاً ومعاملتهم من أقسى ما يكون من الشدة بل هي مدارس المرشحين للنسل وغيرها من الأمراض كما يقول الأطباء فتداوي فيها صحتهم وينقذون مما يتهددهم بدون أن يحولوا بينهم وبين دروسهم أو يضعوا عليهم سنة كاملة.

قام الشارعون بهذا العمل وهم يتخوفون الفشل والناس في ألمانيا لا ينظرون في الأعمال الجديدة إلا إلى غرامها الأولية ومساعدتهم البنك الألماني في مشروعهم بأن ابتاع لهم أرضاً وأعطاهم إياها بلا ربا والأرض واقعة في غابة على بضعة كيلومترات من شارلوتبرغ يسير بينها وبين الغابة ترمواي كهربائي يصل بين المدينة وأول الغابة في عشرين دقيقة ثم يسير الإنسان من المحطة إلى المدرسة عشرين دقيقة على قدمه وسط الغابة وهوؤها عليل أكثر من المدينة وصاف للغاية.

لصنو  
ومن أهم ما فيها انبعاث رائحة القطران والصغ من البر والرئتين وليس في هذه المدرسة أكثر من مئة طفل وطفلة جعنومهم في أكواخ من خشب سدوها من الداخل بقماش

ولم ينفق عليها كثيراً بل بذلت العناية لتوقّي فيها من الضباب والمطر وهناك بنائتان من الخشب وهما عبارة عن صفيين يفصل بينهما غرفة للنعيم أو المعنة وفي الجدران بعض المصورات الجغرافية والألواح وموقدة من القاشاني لا من الحديد المصبوب لأن

الحديد مضر باتفاق عنساء الصحة وهناك تجري الدروس ففي المطر تقام الصفوف بين هاتين البنائتين على أن تترك النوافذ مفتحة ما أمكن وفي أوقات الصحو تقام الدروس في وسط الغابات تحت أغصان شجر الصنوبر القديمة والأولاد جنوس على العشب وعلى المروج النينة وعلى مقربة من غرف المدارس أنشئوا سقيفات مفتحة من أطرافها الأربعة لأنها إذا كانت مفتحة من جهة واحدة تكون معرضة لجرى الهواء وتكون سطوح هذه السقيفات متينة تقاوم الأعاصير والأمطار ويكون من تحتها بمأمن من الرطوبات والرطوبات هي عدوة مدارس الخلاء. وهناك أيضاً بعض سقيفات اخف من الأولى وأصغر وبجانبيها سقيفة واسعة طولها ٢٧ متراً وعرضها ٦ مفتحة نحو الجنوب ويمكن أن تؤوي ٢٠٠ إلى ٢٥٠ طفلاً.

فتحت هذه السقيفات البرية المثلثة في الغابة يتسلى الأولاد عندما يتعذر عليهم أن يخرجوا من المطر إلى تحت السناء وهناك يستريحون فيجنون على الكراسي المستطيلة كنا حالت الرطوبة دون تزهيمهم تحت الأشجار ولكن تصل إلى عيونهم ورؤوسهم رائحة الصنوبر وبعض أشعة الشمس. وفي إحدى السقيفات مناضد مستطيلة ودكات جعلت بيتاً للنفداء وفيها صحاف وكؤوس مشرة على نظام تام يجنس إليها الأولاد أوقات الطعام كل واحد في مكانه الخاص به وفي وسط هذه البنائات الخفيفة أنشئت بناية أكثر متانة وهي من خشب أيضاً قسموها أقساماً قسم للنديرة وآخر للنطخ وثالث لحفظ الطعام ورابع آبار وحمام أو حمامان للذكور وآخر للإناث أما الحمام فعلى غاية من النظافة. وعلى هذا كان الماء الحار والماء البارد والحركة والرائحة والهواء والشمس

مساعدة عَنى تقوية تركيب الأولاد. وفي هذه المدرسة مستشفى صغير موقت لما قد يطرأ من الأمراض والعوارض عَنى الأولاد.

وليس لهذه المدارس وفيها ٢٥٠ ولداً سوى المديرية وإليها يعود أمر التربية والصحة وملاحظة الخادِمات والمطبخ وستة معنّين وثلاث معنّات.

تبدأ هذه المدرسة بالدروس عندما تعود الحياة إلى الغابات والخضرة في الربيع أي بعد عيد الفصح وتلوم بحسب مساعدة الجو وربما دامت إلى النصف الأخير من كانون الأول ولكن من العادة أن تطول مدة الدرس إلى آخر شهر تشرين الأول في شمالي ألمانيا وإلى منتصف تشرين الثاني في جنوبها فبأَي الأولاد نحو الساعة السادسة ونصف صباحاً فتطوف بهم إدارة المدرسة فقي الغابات إلى الساعة الثامنة راكبين في ترمواي معد لهذا الغرض وفي تلك الساعة تبدأ الدروس وفي العادة ألا تطول مدة كل صف أكثر من ٢٥ دقيقة فبعد الصف الأول يعطى التليذ خمس دقائق للراحة والزهة وبعد الصف الثاني عشر دقائق. والأطفال الصغار ومن بعدهم لا يدرسون في اليوم أكثر من ساعتين والأكبر منهم سنّاً يدرسون ساعة زائدة. والصف لا يتألف من أكثر من عشرين تليذاً لئيسر لننعم أن يعنى بكل واحد من المتعنين عناية خاصة ويدير شؤونهم وأعمالهم. وقد رأت إدارة المدرسة أن أربعة دروس يُلوم كل واحد خمسة وعشرين دقيقة أفضل من دروس يُلوم كل واحد منها ٥٥ دقيقة وفيها ٤٠ إلى ٥٠ تليذاً وإن الأحرى ترك التليذ يسرح ويمرح في الغاب لا أن يقعد عَنى الدكة يستنع ٣٥ من أتراهه يسعون دروسهم لما لا يزيد إلا ثلثم حاسة الانتباه فيه ويدخل عَنى نفسه الاشتزاز من الدرس مهنا كان جذاباً أما الدروس التي يدرسوها في هذه المدرسة فهي دروس المدارس الابتدائية في ألمانيا

ومختصر اللغة الخفية الألمانية وتاريخ ألمانيا ومختصر التاريخ العام والجغرافيا والحساب والتاريخ الطبيعي والغناء والرسم ودروس الأشياء وقيل من اللغة الفرنسية لبعض الطلبة ويعنون عناية خاصة بتدريس اللغة الألمانية والتاريخ والجغرافيا والغناء. وإن كان الغناء من دروس التسمية أكثر من الدروس الجديدة. والتاريخ الطبيعي والنبات والغناء والرسم في الغاية غالباً وفي حوار المدرسة بالعمل ومعوماتهم أكثر بخلاف عقول من يتربون من الأولاد عنى هذه الطريقة أثقب ومعوماتهم بخلاف عقول من يتربون في المدن وما يمحسونه.

وقد جعلت الألعاب بحيث تقوي نشاط الأولاد وتلقيفي نفوسهم فكرة الإبداع والاختراع فترى المدرسة قد خصت صغار الأولاد بقطعة من الأراضي مرملة ينبعون فيها ويمحرون ويطسبون وبنون بأغصان الخلاف جسوراً أو حصوناً وأنفاقاً ومجاري وكثيراً ما تتحيل

هذه المسليات إلى صورة درس في الجغرافيا أو الطوبوغرافيا فيسمون بعض أثمار بلادهم وما عنى حفافيها من الأراضي والمصايف والحصون. وكبار الأولاد يدرسون صغارهم عنى هذه الألعاب كما أن المعصين يلاعبون كبار الطلبة بدون أن يظهرها بأنهم في صدد درس بل أنهم في لعب ونزهة.

ولطالما لاحظ علماء التربية أن جهاد المرء إذا صرف إلى غاية نافعة يكون عنىها في نفس الطفل لذة زائدة فتؤثر في تربيته أكثر مما تؤثر الأعمال التي لا نتيجة لها فقد قال أرسطو أن كل حي يجب نشاطه. فإذا كان العمل فرحاً فهو كذلك عنى شرط أن يتم لا بالإكراه

بل بحرية أي أن يتم بإرادة المرء مدفوعاً إليه بغايته الطبيعية وهي الإيجاد والإيلاد والإحداث.

ولذا اختصت المدرسة كل تلميذ بقطعة صغيرة من الأرض حديقة يزرعها ويستبثها ما يريد فهو مالك هذه الروضة الذي لأراد لحكده وله ريعها زهوراً كان أو ثماراً فترى أحدهم يزرع قرنفلأ أو ورداً ليقدم منها باقة لكبار أسرته وآخر يميل إلى العمليات فيزرع فجلاً أو بقولاً وبقوة الماء والعناية يستخرج من تلك الأرض الرملية المحرقة غلات نافعة حتى إذا تقدم في السن يدرك كم بذل الفلاح من العناية حتى أتاه بحجز عمل من الجاودار وحصحة من البقول. وهناك طفل آخر مولع بالنبات فيربي في روضته نباتات نادرة من الغاية ويدرس كيفية نشوءها. وهكذا أشرب أخلاق كل واحد من هؤلاء المتعنين وكلهم يفكرون فيما يتنون أن يقدموا من أول غنة لأقربائهم وأبويهم دليلاً على مهارتهم وحنفهم. ولا تسل عما يبذله أولئك الأطفال من الهم ليدخنوا الشرور على قلوب غيرهم وكم لها من الشأن والقيمة الأدبية التي لا تضاهي.

أما الطعام الذي يتناوله فقد اختارته المدرسة من أقلها نفقة وأكثرها تغذية لأن المقرر الذي يدفعه التلامذة وأكثرهم من الفقراء لا يكفي لتقديم المأكولات الشينة. وطعام الغذاء الذي يقدم الساعة الثانية عشرة ونصف وقت الظهر هو أكبر طعام وما عداه فالأولاد يأكلون كل يوم أربع وجبات الأولى الساعة السابعة يقدمون له كأساً من اللبن الحليب وقطعة خبز ومرقيات لأنهم يعتبرون السكر مادة من مواد الغذاء ومقويًا. وفي الساعة العاشرة يقدمون أكلة خفيفة أيضاً وعند الظهر طعام مغد مؤلف من ثريد ولحم لا يقل عن مئة غرام لكل ولد ويقول معد لها من ١٥٠ إلى ٢٠٠ غرام وفاكهة أو حنويات

أو مريبات. وفي الساعة الرابعة يعطوهم لبناً حليماً وخبزاً بالزبدة وفي الساعة الخامسة والربع يطعموهم قطعة من الخبز وشيئاً من النوز الهندي (ككاو). وأنت ترى أن اللبن والخبز أكثر الأطعمة تغذية واقنها تكثفت.

ولقد كان من نتائج هذه التربية والحياة المدرسية أن كان الأولاد يأتونها ضعاف الأجسام تقرأ في وجوههم عبوسة وفي نفوسهم انقباضاً وفي أرواحهم ذلة وصغاراً لا تميل أنفسهم إلى شيء ولا تبسط شهواتهم لشيءٍ وبعضهم لا يعرفون كيف يلعبون أيضاً فيهم خليط من أبناء الأحياء القذرة لا يعرفون الزهور ولا المروج ولا تغريد الأطيوار في الأشجار ولا الحبوب ولا كيف تغيب الشمس فتحر بمنظرها ولا كيف تشرق فيهب النفس مرآها ولا كيف تسرح الحيوانات في الغابات ولا كيف تطن الموام والحشرات في الشمس أو تعبت بالأوراق وها قد أصبحوا منذ أول دخولهم المدرسة وأفكارهم منتهية ونشاطهم موفوراً وكل شيء جديد لديهم كأنهم في عالم جديد يهتز منهم من لا يهتز لأمر من قبل وينبه أكثرهم رخاوة ويعود غلبهم الذوق في الحياة فلا يجدون في العمل سخرة مملّة عقيدة وكنما زادت قواهم الطبيعية يعود ذكاؤهم العادي إلى حالته الطبيعية.

وقد أخذ وزن أجسام الأولاد يزيد من أسبوع إلى أسبوع فكان الواحد يزيد نصف ليرة وكثير منهم زاد ثقلهم من ٩ إلى ١٠ ليرات في خلال ثلاثة عشر أسبوعاً وكما أخذت المدرسة تراقب وزن التلامذة أنشأت تراقب كمية الدم فيهم فظهرت لها نتائج حسنة وأخذوا يشفون من الأمراض وتحسن صحتهم تحسناً ظاهراً عنى اختلاف أسقامهم فثبت أن المقام في تلك الغاية نفع في أكثر المصابين بداء الخنازير وفقر الدم والمستعدين للنسل. هذه هي النتائج الخارجية ويصعب تعيين ما حدث للأولاد من النمو في إرادتهم

ومقدرهم عني العمل وحسن خلقهم وفرحتهم بالحياة وهذا من القوى أو النتائج الأدبية لم يتيسر لأداة أن تضبط عني التحقيق نموها وضعفها ومع هذا فإن لها تأثيراً كبيراً لا في صحة الأخلاق بل في الصحة الطبيعية.

فأخيط الجديد الذي انتقل إليه الأولاد وتأثير الطبيعة في نفوسهم والسكون والعمل المعقول والجهاد الحر النافع كل هذا يفعل أحسن فعل في الأعصاب التي هي كثيراً ما تهيج من هواء المدينة وضوضائها أو تضعف لقلة الهواء النقي. فنदार الغابات هي أشبه بأسرة كبرى كل امرئ سعيد أن يكون منها وكل واحد من أبنائها يحرص عني أن لا يسوء سمعتها وفي هذه الدار يتجنى للأنظار ما للعناية النسائية بالأطفال لأنهم يوحون لنسيدة التي تحنو عليهم حنو المرضعات عني الفطيم بذات أنفسهم ونياتهم وأعمالهم فترشدهم وتنشطهم وتحاول أن تجعل منهم أهل حشمة من الرجال وجد من الفتيات. وإدارة المدرسة تفكر في أن تجعل مدرستها داخلية لأن الهواء النقي ينفع في حالة النوم ضعفي نفعه في حالة الإغفاء بالنسبة لهواء المدن القذرة فقد ثبت أن الطفل أثناء عودته في المساء إلى دار أبويه يفقد أحياناً ما ادخره من القوى لرداءة الغذاء أو الهواء ولاخطاط الخيط في الأخلاق والتربية أو لأسباب آخر من أسباب انفعال النفس. هذا وإن يكن الألمان أميل إلى أن يجعلوا أولادهم في مدارس خارجية أكثر من الداخلية وقد اشتهر أمر هذه المدرسة في بلاد الألمان وأخذت كثير من المدن الصناعية تحذوا حذوها كما فعلت مدينة البرفند ركيل ولوبك ومومنيخ وموهوس وغيرها وعمدت كلها إلى اقتصار المدرس والدروس وإشباع المواد فيها ودوام الراحة وتكثير وجبات الأكل المغذي وأجل مدرسة تحت الغابات في ألمانيا وكلها غابات جميلة مدرسة غلادباشر.

وذلك أرسل الإنكليز أناساً من رجال التربية عندهم ودرسوا طريقة هذه المدارس وأخذوا يقندونها لأن طريقتهما أشبه بطرائقهم في التربية والاعتماد على رياضة النفس فيها أكثر من الإكثار من الدرس فتم بحجوا أن يكون الأطفال في الارتياض أقل عناية بأمرهم من الفتيات في كيني أكسفورد وكامبريدج حتى أن بلدية لندن نفسها أنشئت ثلاث مدارس من هذا النوع وكذلك فعلت مدينتا برادفورد وهاليفاكس واختيرت أماكن نزهة فيها الأشجار الهائلة وصرف بعض الإنكليز في هذا السبيل عن سخاء. ومتى قصر الإنكليز في بذل الجنيهات كالمنظر إذا كانت نتيجه تربية القوى الطبيعية في الأطفال؟

ولقد أخذت هذه المدارس تعنم الرسم في الطبيعة والطبوغرافية على شواطئ المسواقي والحساب بقياس الأشجار الضخمة وتقدير حجم جذوعها بالمتر المربع والجغرافيا بخط خطوط في الرمل ناتئة. وللاستحمام بالمضخات وغيرها المقام الأول في هذه المدارس. وللشغال العنية مكانة كبرى فالبنات يعنن غسل الثياب وترقيعها والعناية بالأولاد. ومن مبدأ هذه المدارس أن الواجب أن يعرف كل ولد كيف يعمل عنلاً بأصابعه العشرة ولهذا من الشأن العظيم من حيث الأخلاق وتقوية العقل أكثر مما يتوهم المتوهمون. وكانت نتيجة هذه المدارس باعثة عنده الرضى إذ قد ثبت أن تسعة أعشار تلامذتها زادوا زيادة محسوسة في وزهم ونشاطهم. ولئن كان نحو القوى الطبيعية سهلاً تحقيقه بواسطة الدينامومتر ودل البحث على أن الأولاد لم يزدوا وزناً مثل مدرسة شارلوتبيرغ الألمانية فذلك لأن الجنس الإنكليزي في الغالب غير معد للسن كالعنصر الألماني وكان من التلامذة الضعاف في عقولهم أن أخذت تنشط من عقولها كلما زاد نشاط أجسامهم.

وقد اغبط الإنكليز بما تم من النجاح عني أيدي مدارس الغابات ولا تلبث كل مدينة في إنكلترا أن يكون لها مدرسة من نوعها كما أن أناساً من رجال المال في أميركا قد أحدثوا في سان فرانسيسكو وغيرها أندية للأطفال تضمن لضعاف الحال والصحة السفر لاستنشاق الهواء الطلق وربما كان ذلك مقدمة لاحتذاء أميركا حذو ألمانيا وإنكلترا في إنشاء مدارس في الهواء الطلق بين أشجار الغابات. وقد أخذت سويسرا وفرنسا تفكر في إنشاء مدارس من هذا النوع لأن العناية بالصحة هيب فوق كل عناية حتى قال ديكارت الفيلسوف أنه مقتنع كل الاقتناع بأنه إذا كان ثمة واسطة لجعل البشر أذكى وأنه مما هو فليس غير الطب يجب أن يعرض عليه بالنواجذ وينتشر منه الشفاء.

### عقول الأطفال

في مجلة الأقرباء الإنكليزية ثلاث مقالات في إعداد عقل الطفل. الأولى في الجور الذي يجيء عني الطفل من سن ١٨ شهراً حتى يبلغ ثلاث سنين وهي سن تعنه الكلام ومقدرته عني التقيد وغريرته في البحث عما لا يعنم وتكون قواه في التصور والتعقل في مبدأها وإرادته جرثومة تبدو في صورة عناد وبعد سن الثالثة تتأصل فيه قوة التعقل بمظهر أكبر وهذه هي السن التي يكون لتفكر فيها شأن رئيسي وتظهر الإرادة في مظهر أجني ويأخذ الولد في تقرير أمور بدون أن تحسنه إليها ضرورة لاحقة ولا يتيسر لهذا النشوء في عقل الطفل أن يتم عني أصوله إلا بإجادة تغذيته ونومه فنطول رقاده شأن مهم في هذا السن.